@AnteliasDiocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد الخامس بعد عيد الصليب: مثل العذارى

الأخت دولّي شعيا (ر.ل.م.)

(فل ٢: ١٢-١٨)

١٢ إِذًا، يَا أَحِبَّائِي، فَاعْمَلُوا لِخَلاصِكُم بِخَوْفٍ ورِعْدَة، كَمَا أَطَعْتُمْ دَائِمًا، لا في حُضُورِي فَحَسْب، بَلْ بِالأَحرى وبِالأَكْثَرِ الآنَ في غِيَابِي.
١٣ فَاللهُ هُوَ الَّذي يَجْعَلُكُم تُرِيدُونَ وتَعْمَلُونَ بِحَسَبِ مَرْضَاتِهِ.
١٤ إِفْعَلُوا كُلَّ شَيءٍ بِغَيْرِ تَذَمُّرٍ وَجِدَال،
١٥ لِكَي تَصِيرُوا بُسَطَاءَ لا لَومَ عَلَيْكُم، وأَبْنَاءً للهِ لا عَيْبَ فيكُم، وَسْطَ جِيْلٍ مُعْوَجٍّ ومُنْحَرِف، تُضِيئُونَ فيهِ كالنَّيِّرَاتِ في العَالَم،
١٦ مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الحَيَاة، لافْتِخَارِي في يَومِ المَسِيح، بِأَنِّي مَا سَعَيْتُ ولا تَعِبْتُ بَاطِلاً.
١٧ لو أَنَّ دَمِي يُرَاقُ على ذَبِيحَةِ إِيْمَانِكُم وخِدْمَتِهِ، لَكُنْتُ أَفْرَحُ وأَبْتَهِجُ مَعَكُم جَمِيعًا.
١٨ فَافْرَحُوا أَنْتُم أَيْضًا وابْتَهِجُوا مَعِي.

مقدّمة

لقد كتب بولس الرَّسول، الرسالة إلى أهل فيليبّي، إلى الكنيسة الَّتي أحبّ. ونحن نعلم، من خلال قراءة جميع رسائله، أنَّه ما قبلَ مساعدةً ماديَّة من أيَّة جماعةٍ بشرَّها، إلَّا من تلك الَّتي في فيليبّي، لأنَّها كانت كمشاركة في الإنجيل، لا لمصروفه الخاصّ.
ونستشفُّ من خلال هذه الرسالة، كم كان يعوّل على هذه الجماعة، خاصَّةً وأنَّه كتبها وهو في السجن. فأعلن في هذه الرسالة، أنَّ "الحياة لي هي المسيح، والموت ربحٌ لي" (فل ١: ٢١). لذلك، طلب التواضع على مثال المسيح الإله، الَّذي تنازل من علاه، وذاق الموت على الصَّليب من أجل البشر (راجع نشيد فل ٢: ٦-١١)؛ ويأتي في هذا المقطع، الَّذي يُقرأ في هذا الأحد (فل ٢: ١٢-١٨)، ليضعنا أمام مفترق طُرق: فإمَّا أن نعيش على خلاف ما علَّمنا إيَّاه المسيح المصلوب القائم، فنعيش على "التذمُّر" وعدم الطَّاعة، أو أن نطيع، فنكون "النيّرات" الَّتي تكسر ظلمة هذا العالم.

شرح الآيات

١٢ إِذًا، يَا أَحِبَّائِي، فَاعْمَلُوا لِخَلاصِكُم بِخَوْفٍ ورِعْدَة، كَمَا أَطَعْتُمْ دَائِمًا، لا في حُضُورِي فَحَسْب، بَلْ بِالأَحرى وبِالأَكْثَرِ الآنَ في غِيَابِي.

تكشف آيات هذا النصّ (فل ٢: ١٢-١٨)، عن المتطلّبات العامَّة للعمل المسيحيّ، الَّذي يرتكز على السلوك، الَّذي يجب أن يكون لنا في عملنا للرَّبّ. واصل بولس، في هذه الآية من النصّ التعليمات العمليَّة، الَّتي كان قد بدأها سابقًا (راجع فل ١: ٢٧). وعندما فعل هذا، عمل على المواصلة في فكرة الطَّاعة: "واضع (يسوع) نفسه، وأطاع حتَّى الموت، موت الصَّليب" (راجع فل ٢: ٨). وهنا يقول بولس إلى أهل فيليبّي: "إذًا، يا أحبَّائي، فاعملوا لخلاصكم بخوفٍ ورعدة، كما أطعتم دائمًا، لا في حضوري فحسب، بل بالأحرى وبالأكثر الآن في غيابي".

تبدأ الآية ١٢ بكلمة "إذًا"، الَّتي تربط ما سيأتي بما سبق. كان يسوع مطيعًا، "إذًا"، ينبغي لأهل فيليبّي أن يكونوا مُطيعين أيضًا. لم تُعطَ هذه النَّصيحة بصرامة، بل كتوسُّل، إذ أضاف بولس كلمة "أحبَّائي". بما يختصُّ بطاعة أهل فيليبّي السَّابقة، قال بولس: "كما أطعتم دائمًا"، أي إنَّهم كانوا يُطيعون دائمًا إرشادات اللّٰه. لكنَّه ناشدهم أن يطيعوا، "لا في حضوره فحسب، بل بالأحرى وبالأكثر الآن في غيابه". كان بولس قد قضى بعض الوقت في فيليبّي عدَّة مرَّات قبل ذلك (راجع أعمال ١٦: ١٢-٤٠؛ ٢٠: ١-٣، ٦). أراد للإخوة هناك أن يتصرَّفوا كما لو كان موجودًا عندهم.

كانت طاعة أهل فيليبّي ذات أهميَّة، لأنَّ الضغط لعدم الطَّاعة كان يتزايد (راجع فل ١: ٢٨-٣٠). فإن لم يُعطهم بولس تشجيعًا شخصيًّا فقد يتعثَّر البعض.

شجَّع بولس أيضًا، أهل فيليبّي، على أن "يعملوا لخلاصهم بخوفٍ ورعدة". فعل "إعملوا"، الوارد في هذه الآية، المترجَم من كلمةٍ يونانيَّة مركَّبة katergázomai، ومعناها "يتمّم، يحقّق، يكمّل". هذا كما لو كان بولس يقول: "لقد بدأتم بدايةً جيّدة عندما اعتمدتم لكي تخلصوا من خطاياكم السَّابقة (راجع أعمال ٢: ٣٨؛ روم ٦: ٣-٦، ١٧، ١٨)، وقد عشتم حياة الخدمة منذ ذلك الزمان، ولكن لا تكتفوا بذلك، إذ ما زال هناك عملٌ يجب القيام به".

صحيحٌ أنَّ الكلمة اليونانيَّة sôtéria، المترجَمة هنا إلى "خلاص"، قد تُترجَم بعدَّة طرق. لكنَّ بولس يستخدم باستمرار كلمة sôtéria بمفهوم "الخلاص الأبديّ" (راجع فل ١: ٢٨؛ روم ١: ١٦؛ ١٠: ١، ١٠؛ ١٣: ١١؛ ٢ قور ٦: ٢؛ ٧: ١٠؛ أف ١: ١٣؛ ١ تس ٥: ٨؛ ٢ طيم ٢: ١٣). لا يوجد شيءٌ في السياق المباشر، يجعلنا نعتقد بأنَّ بولس استخدم هذه الكلمة هنا بمعنىً مختلف عن "الخلاص"، كـ"الإنقاذ" من تفاهة الأشياء أو "الشفاء" من الخلافات.

الكلمة اليونانيَّة fóbou، المترجَمة هنا إلى "خوف"، معناها "الرهبة، الفوبيا". هذا لا يعني أنَّه يجب أن يغمرهم القلق والعصبيَّة وهم يخدمون الرَّبّ. فكلمة "خوف" استُخدمَت هنا، كما تُستخدم عادةً في الكتب المقدَّسة، أي بمفهوم "الرهبة"، و"الاحترام" الشديدين.

١٣ فَاللّٰهُ هُوَ الَّذي يَجْعَلُكُم تُرِيدُونَ وتَعْمَلُونَ بِحَسَبِ مَرْضَاتِهِ.

بالعودة إلى النصّ اليونانيّ، من المستحسَن ترجمة الآية على النحو التالي: "فاللّٰه هو

العامِل فيكم، لتريدوا وتملوا بحسب مرضاته". فالفعل اليونانيّ energôn، المُترجَم إلى "العامِل"، يعني "طاقة" أو "تنشيط". وقد ورد الفعل مرَّةً أخرى في الآية لترجمة فعل "تعملون" (energeîn). اللّٰه هو الَّذي يزوّدهم بالطَّاقة، لكي "يعملوا بحسب مرضاته". فهم يحتاجون إلى الرغبة في أن يعملوا له، وإلى القدرة ليعملوا من أجله. لكنَّ اللّٰه لا يفعل فيهم بطريقةٍ عجائبيَّة، بل يضع فيهم الرغبة للعمل، ويحثُّ إرادتهم ليقوموا هم بدورهم.

١٤ إِفْعَلُوا كُلَّ شَيءٍ بِغَيْرِ تَذَمُّرٍ وَجِدَال،

تشير هنا كلمة "تذمُّر" (باللغة اليونانيَّة goggusmôn)، إلى "التعبير عن الاستياء والشكوى". استخدمت الترجمة السبعينيَّة هذه الكلمة لوصف تذمُّر الإسرائيليّين في البرِّيَّة وشكواهم (راجع خر ١٥: ٢٤؛ ١٦: ٧، ٨؛ عد ١١: ١؛ ١٦: ٤). استخدم بولس مثال الإسرائيليّين ليقدّم التحذير التَّالي: "لا تتذمَّروا كما تذمَّر أيضًا أناسٌ منهم فأهلكهم المُهلِك" (١ قور١٠: ١٠).

إنَّ كلمة "جدال"، مُترجَمة من كلمة يونانيَّة مُركَّبة dialogismôn، تجمع حرف الجرّ día مع كلمة logismós، ومعناها "حجَّة" أو "منطق". تشير هذه الكلمة إلى "حجَّة داخليَّة"، ولكن معناها السَّائد، في العهد الجديد، هو "أفكار شرّيرة".

١٥ لِكَي تَصِيرُوا بُسَطَاءَ لا لَومَ عَلَيْكُم، وأَبْنَاءً للّٰهِ لا عَيْبَ فيكُم، وَسْطَ جِيْلٍ مُعْوَجٍّ ومُنْحَرِف، تُضِيئُونَ فيهِ كالنَّيِّراتِ في العَالَم،

بعد ذلك، يجب أن يعمل أهل فيليبّي بطريقةٍ مسالِمة. فبعدما قال بولس: "إفعلوا كلَّ شيءٍ بغير تذمُّر وجدال" (فل ٢: ١٤)، استمرَّ قائلًا: "لكي تصيروا بسطاء لا لوم عليكم، وأبناءً للّٰه لا عيب فيكم، وسط جيلٍ معوجٍّ ومنحرف، تُضيئون فيه كالنيّرات في العالم" (فل ٢: ١٥).

استخدم بولس هنا كلمةً غير متوقَّعة "بسطاء"، إذ لا يقدّر الكثيرون في فيليبّي الـ"بسطاء" تقديرًا كبيرًا. بل تتمُّ مساواتهم بالجهلاء، وعديمي الخبرة والسَّاذجين، مع أنَّ وصيَّة الرَّبّ أن نكون "ودعاء كالحمام" (متَّى ١٠: ١٦). الكلمة اليونانيَّة akéraioi، المترجَمة إلى "بسطاء"، مكوَّنة من بادئة تدلُّ على النفي a، وفعل keránnumi، أي "يمزج" أو "يخلط"، ومعناها "غير ممزوج" أو "غير مخلوط". كان اليونانيُّون يستخدمون هذه الكلمة للإشارة إلى الخمر غير الممزوج بالماء، أو المعدن غير المخلوط بمعادن أخرى. أمَّا هنا، في هذه الآية، فهي تشير إلى لبّ ما يطلبه الرَّبّ: الخير غير الممزوج بالشرّ. ينبغي على أهل فيليبّي أن يكونوا صالحين في الخارج ("لا لوم عليهم")، كما ويجب أيضًا أن يكونوا صالحين من الدَّاخل ("بسطاء").

أمَّا عبارة "لا عيب فيكم"، فتكمّل عبارة "لا لوم عليكم". تُرجِمَت عبارة "لا عيب"، من كلمةٍ يونانيَّة واحدة هي ámemptoi، بإضافة الصيغة السلبيَّة a، مع كلمة mômos، ومعناها

"عيب"، أو "غلطة"، أو "سخرية"، أو "عار". ينبغي على أهل فيليبّي أن لا يفعلوا شيئًا يؤدّي إلى سخرية الآخرين، لا بل أن يؤثّروا تأثيرًا حسنًا، في العالم "المعوجّ والمنحَرِف"، من أجل الخير. فإن كانوا بلا لوم، سيضيئون "كالنيّرات". استُخدمَت الكلمة اليونانيَّة "نيّرات" في الترجمة السبعينيَّة، بمعنى "النيّرات" الَّتي في السماء: الشمس، والقمر، والنجوم (راجع تك ١: ١٤-١٨). والخلفيَّة المعتمة لكلمة "نيّرات"، الواردة هنا، هي "جيلٌ معوجٌّ ومنحرف". استخدِمَت هذه المصطلحات نفسها، في العهد القديم، لوصف الإسرائيليّين المتمرّدين (راجع تث٣٢: ٥).

١٦ مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ، لافْتِخَارِي فِي يَوْمِ الْمَسِيحِ، بِأَنِّي مَا سَعَيْتُ ولا تَعِبْتُ بَاطِلاً.
ينبغي أيضًا على أهل فيليبّي، أن يعملوا بثبات. بعدما طلب بولس منهم أن يضيئوا "كالنيّرات في العالم"، أضاف قائلًا: "متمسّكين بكلمة الحياة". يتحوَّل التشبيه بـ"النيّرات"، من النجوم، إلى النُّور الَّذي يُحمَل باليد. يشدّد بولس هنا على إضاءة الطريق للآخرين، لمساعدة الَّذين في العالم ليجدوا الطريق. الكلمة اليونانيَّة epéchontes ، المترجَمة هنا إلى "متمسّكين"، تعني أن يُمسكوا النُّور بطريقةٍ آمنة حتَّى يستطيع الآخرون أن يروا ويتبعوا. وما يجب أن "يتمسَّكوا" به هو "كلمة الحياة"، أي "كلمة اللّٰه".
قدَّم بولس باعثًا آخر لأهل فيليبّي، كي يكونوا ثابتين "لافتخاره في يوم المسيح، بأنَّه لم يسعَ ولا تعب باطلًا". تشير هنا عبارة "يوم المسيح" إلى المجيء الثَّاني. أراد بولس أن يكون له في ذلك اليوم، سببٌ ليفتخر. لم تكن لبولس رغبةٌ في الافتخار بنفسه، ولكن أراد أن يفتخر بأهل فيليبّي الثَّابتين والأمناء حتَّى النهاية. وإن كانوا كذلك، فيعرف بولس أنَّه "لم يسعَ ولم يتعب باطلًا".

١٧ لو أَنَّ دَمِي يُرَاقُ على ذَبِيحَةِ إِيْمانِكُم وخِدْمَتِهِ، لَكُنْتُ أَفْرَحُ وأَبْتَهِجُ مَعَكُم جَمِيعًا.
١٨ فَافْرَحُوا أَنْتُم أَيْضًا وابْتَهِجُوا مَعِي.
أشار بولس في الآيتَين الأخيرتَين من هذا النصّ، إلى أنَّه كان واثقًا بأنَّ جهوده مع أهل فيليبّي لن تكون عبثًا. ينتهي النصُّ بفكرةٍ رئيسيَّة متكرّرة عن الفرح. وردت الكلمة اليونانيَّة للفرح (chará)، أربع مرَّات في الآيتَين ("أفرح"، و"أبتهج" (فل ٢: ١٧)؛ "افرحوا" و"ابتهجوا" (فل ٢: ١٨).
استخدم بولس هاتَين الآيتَين للتشبيه بالذَّبيحة الَّتي يقدّمها الكاهن. بدأ بالحديث عن نفسه، بأنَّه كان "يُراق سكيبًا" من أجل أهل فيليبّي. لقد استخدم هذا المصطلح نفسه في وقتٍ لاحق، خلال سجنه الثَّاني في روما، بعدما حُكم عليه بالموت (راجع ٢ طيم ٤: ٦).
استخدم بولس، باللغة اليونانيَّة، الفعل المضارع، ليدلَّ على مدى تفكيره بالفكرة

باستمرار.

استمرَّ بولس في التشبيه الكهنوتيّ بالحديث عن "الدم المراق على ذبيحة إيمان وخدمة" أهل فيليبّي. اعتبر بولس "دمه الَّذي كان سيُسفَك" مثل قربان خمرٍ مسفوكٍ أمام اللّٰه (راجع ما يختصّ بقرابين اليهود في عد ١٥: ٥، ٧، ١٠؛ ٢٨: ٧، ١٤؛ هو ٩: ٤). كذلك، إيمان أهل فيليبّي، لا يعني قبولهم المسيح، وتوكّلهم عليه وحسب، بل يعني كلّ ما عبَّروا به عن إيمانهم. اعتبر بولس الإيمان المطيع، الَّذي كان لأهل فيليبّي كذبيحة مقدَّمة للّٰه (راجع روم ١٢: ١، ٢؛ عب ١٣: ١٥، ١٦). وبالتالي، ينتهي النصّ بنغمة "فرح" مشترك، بين بولس وأهل فيليبّي.

خلاصة روحيّة

لقد أطاع المؤمنون "كلمة الحياة" (فل ٢: ١٦)، كما خرجت من فم بولس لـمَّا بشَّرهم. لذلك، يطلب الرسول منهم أن "يتمسَّكوا" بهذه الطَّاعة، فيحافظوا على الكلمة الَّتي تلقَّوها حيَّة في قلوبهم. لذا، ركَّز بولس على الضعف البشريّ أمام عظمة اللّٰه ومحبَّته اللَّامتناهيَتَين، متكلّمًا على "الخوف والرعدة" (فل ٢: ١٢)، اللَّتين يشعر بهما الانسان أمام تلك العظمة؛ فيشدّد على طاعة الكلمة، لا على أنَّها قانونٌ جامدٌ ميت، بل، على أنَّها عربونٌ، وتجلٍّ لهذه المحبَّة الإلهيَّة اللَّامتناهية، المتجسّدة بالمسيح، الَّذي "أطاع حتَّى الموت، الموت على الصليب" (فل ٢: ٨).

هذه المحبَّة، لا يحدُّها اللّٰه بذاته، بل يجعلها تعمل في جميع المؤمنين، فتغمرهم، لا لتُلغي عملهم، بل لتحفّزه، وتقوده في الاتّجاه الصحيح، ألا وهو مجد اللّٰه، وخير القريب.